

سوريا



ج

www.alaraby.co.uk AlAraby.ar

وحشية النظام السوري وداعميه الروسي والإيراني، ومن يدور في فلكهم، ليست أمراً جديداً، ونحن نراهااليوم واقعاً، مرة أخرى في الغوطة الشرقية في ريف دمشق، والتي تتعرّض لقصف همجي قتل وجراح مئات من أبنائها، وذلك بعد حصار لئيم استمر سنوات عجاف. أيضاً، ليس النفاق الدولي في سورية أمراً جديداً منذ اندلعت ثورة شعبها عام 2011، لا لشيء إلا كي يحيا حراً كريماً، فكانت النتيجة أن سُحق بالطائرات والصواريخ والمدفعيات، بل حتى بالغاز السام، في حين يكتفي العالم بالتنديد بـ"جرائم ضد الإنسانية" من دون فعل حقيقي لوقفها. وإذا ما أخذنا بالتجارب السابقة التي خبرها الشعب السوري في السنوات السبع الأخيرة، فإن موجة التنديد الدولية، وفي مقدمتها الأميركيّة والغربيّة، بما يجري للغوطة الشرقية وقاطنيها الثلاثمائة وخمسين ألف نسمة، لن تفضي إلى وقفها، بقدر ما أنه سيتم الالتفاف عليها، عبر اتفاقات غبن تقوم على إخراج المعارضة المسلحة منها، وإجلاء نسبة كبيرة من سكانها، تماماً كما جرى في حلب أواخر عام 2016، وكما يتم الإعداد له في إدلباليوم. هذا هو حصاد الوحشية والنفاق الغربي والروسي والإيراني، دع العربيّ جانباً الآن. فما العرب إلا بيدق يتبعون قوى كبرى أخرى توجه بوصلتهم.

المفارقة أن نفاق الغرب، وفي مقدمته الولايات المتحدة، وروسيا وإيران، يتجاوز الممارسة إلى المزاودة على بعضهم بعضاً، أيهم أكثر نفاقاً وكذباً، بل وقل إجراماً. إلىاليوم، لم نسمع موقفاً أميركياً أو غربياً حازماً، ولو من باب ذر الرماد في العيون، مما يجري من مذابح في الغوطة الشرقية. الولايات المتحدة مشغولة بتثبيت نفوذها عند حقول النفط والغاز السورية في

ديرالزور والرقة والحسكة. وهي، قبل أسابيع قليلة، قصفت قوات موالية لبشار الأسد، كان فيها مرتزقة روس، تقدموا نحو دير الزور، وهاجمت، كما قالت واشنطن، حلفاءها في قيادة قوات سوريا الديمقراطية التي يسيطر عليها الأكراد. النكبة الأكثر سماحةً أن يتهم وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، قبل أيام قليلة، الولايات المتحدة بأنها قوة احتلال في سوريا، في حين يدافع عن وجود قوات بلاده، وطبعاً القوات الروسية في سوريا، على أساس أن النظام السوري "الشريعي" هو من استدعاه! أي نفاق هذا! هو لم يستدعها لدفع عدوانٍ أجنبٍ على سوريا، وإنما لإعانة نظامه الهمجي على قتل شعبه الذي ثار عليه.

قبل أيام من تصريحات ظريف، طالب وزير الخارجية الأميركي، ريكس تيلرسون، من عمان، إيران بسحب جنودها والمليشيات التي تدعمها من الأراضي السورية. وفي سبتمبر/أيلول 2016 اتهمت الولايات المتحدة روسيا بأنها تقوم بأعمال "وحشية" في سوريا، وبأنها تحتمي وراء حق النقض الذي تمتلكه في مجلس الأمن الدولي، وكان الولايات المتحدة لا تفعل الأمر نفسه، وما غزوها العراق وتدميره إلا نقطة صغيرة في بحر سوء أفعالها. ولكن لعبة الباب الدوار لا تتوقف عند حدٍ فروسيّاً تعرف أيضاً كيف ترد. ها هو وزير خارجيتها، سيرغي لافروف، يحذّر قبل أيام أميركا من اللعب بالنار، ويتهمنها بمحاولة تقسيم سوريا، عبر دعمها المقاتلين الأكراد في الشمال. المفارقة الثانية، في هذا السياق، أن يدعوا لافروف واشنطن إلى الالتزام باتفاق خفض التصعيد جنوب سوريا. وحسب تعريفه، فإن الالتزام بالاتفاق يكون بتسليم الجنوب لقوات النظام. يبدو أن هذا هو تماماً الفهم الذي يحرك روسيا وإيران ونظام الأسد في الغوطة الشرقية.

لقد تحولت سوريا إلى كعكةٍ تتنافس الأيدي على تقاسمها، والظفر بحسن ما فيها. أيضاً، تحولت سوريا إلى ساحة حرب إقليمية دولية، وهي كذلك ساحة حرب بالوكالة. لم يعد القرار قرار النظام، ولا هو قرار المعارضة. كلهم مرتهنون لمصالح وأجندة خارجية. سوريا اليوم ممزقة إلى مناطق نفوذٍ روسية وأميركية وإيرانية وتركية وإسرائيلية. وحدهم السوريون أصبحوا غرباء في وطنهم. إنها لعبة شطرنج، إقليمية دولية، على الجثة السورية، يكسب الكل فيها شيئاً إلا أبناءها وأهلاها. هذا ما جناه نظام الأسد على سوريا والسوريين.

كنت أتمنى أن أختم هذه المقالة برسالة أمل، بالحديث عن ضوءٍ في نهاية النفق، لكن الواقع تكذب ذلك. لقد انتهى الحال بكثرين مناً أن يفرح حين تضرب إسرائيل قوات النظام أو إيران أو مليشياتهما في سوريا. ويفرح آخرون حين تُسقط دفاعات النظام الجوية طائرة إسرائيلية معتدية، دمرت بعض قواعد النظام وإيران التي تمارس القتل في حق السوريين. وطرف ثالث يؤيد دخول تركيا إلى الشمال السوري، ورابع يفرح بأي خسائر تلحق بها هناك. وخامس يتمنى صراعاً أميركياً - روسياً على الأرض السورية. وهكذا دواليك. ولكن، ومن أسفٍ، ما عاد أحد يتحدى عن انتصار إرادة الشعب السوري، أو حتى عن إحلال السلام في سوريا، فذلك أمرٌ مُؤجل، ولا يعلم متى يأتي إلا ربُّ العزة جلَّ وعلا.

المصادر:

العربي الجديد